



هذه بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني المسلمين، لا سيما الدعاة والمجاهدين منهم، وذلك في خضم هذه الحوادث الكبيرة والنوازل المتتسارعة والمترلاحقة التي يشهدنا بها اليوم، والتي هلك فيها من هلك، سواء بيده أو لسانه أو قلمه، إما بغلو وإفراط، وإنما بتقصير وتفرط، وإنما بعجلة وطيش؛ صادرة كلها إما عن شهوة وهوئ، أو شبهة وتأويل، أو مزيج منها. وسوف لن أتعرض في هذه الوصايا لحدث أو نازلة بعينها، ولن أطرق إلى موقف معين من فرد أو طائفة؛

وإنما أسوق هنا بعض ما ظهر لي من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبعض ما استقرأته من مواقف السلف الصالحة مع النوازل والحوادث، في صورة وصايا أحسبها نافعة بإذن الله عز وجل في أي حادث ينزل بالأمة، ليصل بها المسلم إلى الموقف الحق والرأي السديد، ويسلم من التخبط والشطط والعدوان.

الوصية الأولى:

اللجوء إلى الله عز وجل ودعاؤه والتضرع بين يديه وسؤاله الهدية للحق؛ لأنه سبحانه هو وحده الهادي والموفق للحق والثبات عليه، قال الله عز وجل: **{يَثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}** [إبراهيم: 27]، وقال عز وجل عن نبيه نوح عليه السلام مع ابنه: **{قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ}** [هود: 43]، وقال عن دعاء خليله إبراهيم عليه السلام: **{قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ}** [الأنعام: 77]، وقال سبحانه عن دعاء نبيه موسى عليه السلام: **{إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَةٌ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنَّتَ وَلِيَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنَّتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ 155 وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}** [الأعراف: 155، 156].

فهذا باب عظيم من أبواب العصمة من الفتن والانحراف ينبغي على من أراد لنفسه الهدية إلى الحق أن يسأل ذلك ممن يملكتها وحده، وهو الله سبحانه.

ولو تأملنا أدعية النبي صلى الله عليه وسلم، وهو رسول الهدية، لرأينا كثيراً منها في الثبات على الدين والهدية إلى الحق.

وأكتفي بالدعاء العظيم الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحافظ عليه في كل ليلة في استفتاح صلاة التهجد، ألا وهو قوله: «اللهم رب جرائيل وMicrael وإسرافيل. فاطر السموات والأرض. عالم الغيب والشهادة. أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[1].

وإذا علم الله عز وجل صدق عبده وتوكله عليه، وفقه للأسباب التي يهديه بها إلى الحق والسداد، أما إذا نسي العبد هذا الأمر وقل دعاؤه وسؤاله لربه عز وجل وأعجب بنفسه وبرأيه؛ فإن الله عز وجل يكله إلى نفسه ويخلص عنه، ومن تخلى الله عز وجل عنه فلا تسأل عن خيبته وضلاله وخسارته.

الوصية الثانية:

الحذر من الهوى ودخول حظ النفس في تفسير الأحداث والمواقف منها؛ لأن الهوى وحظ النفس يقودان صاحبهما إلى التعصب والتحزب لهذه الطائفة أو تلك، أو لهذا الموقف أو ذاك، وهذا من ضعف التجدد لله عز وجل في طلب الحق.

ومن هذه صفتة فإنه يحرم في الغالب التوفيق والهداية والسداد. وقد يدخل العبد في أمر حمية الله عز وجل وهو متجرد لا هوئ له فيه فلا يلبت أن يدخل حظ النفس والحمية لها فيفسد عليه قصده فيحرم السداد.

وهذا يقتضي اليقظة الشديدة للنفس ونوازعها وحظوظها. وفي ذلك يقول ابن القيم رحمة الله تعالى: (وكذلك الحمية لله والحمية للنفس، فال الأولى يثيرها تعظيم الأمر والأمر، والثانية يثيرها تعظيم النفس والغضب لغوات حظوظها)[2].

وإن مما يتنافي مع التجدد لله في طلب الحق وتحديد المواقف، التعصب لشخص أو طائفة وتقليدهم وحصر الحق فيهم وتخطئة أو تضليل من سواهم، وكأن هذا المقلد يدعى العصمة لمن قلد، وهذا يتنافي مع منهج أهل السنة والجماعة، الذين شعارهم قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه: «وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا»[3].

لذا يرفعون شعار (اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال)، وشعار (اقبل الحق منمن أتى به ولو كان بغيضاً)، ويرفضون وينبذون شعار (من لم يكن معه فهو ضدي).

لذا يجب الحذر من هذه الصفة ومجاهدة النفس في قبول الحق بدليله، ولو خالف هواها، ولو خالف قول من تحب.

فهذا فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع محبته العظيمة لصديق الأمة الأكبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ لما لم يظهر له الحق في قتال المرتدين في بداية الأمر لم يقلد أبا بكر رضي الله عنه، بل ناظره وناقشه حتى أزال أبو بكر رضي الله عنه الشبهة عنه وانشرح صدر عمر رضي الله عنه للحق فانقاد له.

هذا مع أبي بكر الصديق التقي النقى المسدد، فكيف بمن دونه ودونه؟

فالحذر الحذر من اتخاذ موقف من المواقف لأن فلاناً من الناس أو طائفة من الطوائف قالت به، حتى يتبيّن الدليل الشرعي في صحته من خطئه، ومن ثم قبوله أو رفضه، وما أحسن وصيحة عمر لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما في قوله: (ولا يمنعك من قضاء قضيت بهاليوم فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم، ولا يبطل الحق شيء)، وإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل)[4].

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن المعلمي - رحمة الله تعالى - في كتابه النفيس: التنكيل؛

مجموعة من الأسباب التي توقع في الهوى والتعصب للباطل، أسوقها هنا على وجه الاختصار والتصريف الي sisir لنحذرها

وتنوقاها، فمن ذلك:

• أن يرى الإنسان أن اعترافه بالحق يستلزم اعترافه بأنه كان على باطل، فالإنسان ينشأ على دين أو مذهب أو رأي ينلأه من مرببه أو معلمه على أنه الحق، ويكون عليه مدة من الزمن، ثم إذا تبيّن له أنه باطل شق عليه أن يعترف بذلك، لا سيما إذا كان آباءه وأجداده أو شيوخه وزملاؤه على ذلك، فيشق عليه أن يخطئهم، ويرى أن في ذلك استناصتهم، وأن نقصهم مستلزم لنقصه.

• أن يكون قد صار له في الباطل جاه وشهرة ومعيشة، فيشق عليه أن يعترف بأنه باطل، فتذهب تلك الفوائد.

• الكبر - أعزنا الله منه -، حيث يكون الإنسان على جهة أو باطل فيجيء آخر فيبيّن له الحجة، فيرى أنه إن اعترف كان معنى ذلك اعترافه بأنه ناقص وأن ذلك الرجل هو الذي هدأه. ولهذا ترى من المنتسبين إلى العلم من لا يشق عليه الاعتراف بالخطأ إذا كان الحق تبيّن له ببحثه ونظره، ويشق عليه ذلك إذا كان غيره هو الذي بيّن له.

• الحسد - أعزنا الله منه -، وذلك إذا كان غيره هو الذي بيّن له الحق، فيرى أن اعترافه بذلك الحق يكون اعترافاً لذلك المبين بالفضل والعلم والإصابة، فيعظم في عيون الناس، فيحسده على ذلك[5].

ومقصود الحذر من هذه الآفات، وإن وجودها يدل على الهوى وعدم التجرد والإخلاص لله تعالى.

وأختم هذه الوصية بوصية عمر بن عبد العزيز رحمة الله تعالى، حيث يقول: (لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه ويخالفه إذا خالف هواه، فإذاً أنت لا ثتاب على ما وافقته من الحق وتعاقب على ما تركته منه، لأنك إنما اتبعت هواك في الموضعين)[6].

الوصية الثالثة:

حسن الظن بالله عز وجل وأنه سبحانه حكيم لطيف عدل في قضائه وقدره، وأن رحمته في قضائه للمسلم قد سبقت غضبه. ومن ذلك ما قدره سبحانه على الأمة من نوازل وحوادث، حيث إنها مقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العلي، وله الحكمة البالغة في ذلك.

وتأتي أهمية هذه الوصية في أثرها على اطمئنان القلوب ورد الوساوس الشيطانية التي تبث اليأس والإحباط والشبهات في النفوس، واليقين بأن العاقبة للمتقين.

الوصية الرابعة:

ضرورة العلم بالشرع وال بصيرة في الدين والوعي بالواقع وأثر ذلك في معرفة الحق والسداد في المواقف، فالعلم تزول الشبهات التي تغطي على الحق، وغالب من لم يوفق للحق الجهلة من الناس، سواء كان هذا الجهل في الدين وأصوله وأحكامه، أو في الواقع وفهمه والوعي بسبيل المجرمين.

وإن من أهم ما ينبغي العناية به العلم بالقواعد الشرعية وأداتها ودورها في فقه الموازنات والتعارضات التي تظهر عادة في الحوادث والنوازل، وإن إغفال هذا الجانب المهم من العلم الشرعي هو الذي يوقع في التخبطات والاختلافات.

ومقصود هنا بفقه الموازنات فقه قواعد الترجيح بين المصالح المتعارضة أو المفاسد المتعارضة، أو بين المفاسد والمصالح، وذلك حين يتعدد الجمع بين مصلحتين متعارضتين أو مفسدين متعارضتين، أو بين مصلحة ومفسدة

متعارضتين، وهذا العلم موجود في كتب الأصول، فلا بد من العناية بفقه الموازنات وإعماله وإنزاله في فهم النوازل والمواقف منها.

وهذا الفقه لا يتم ويصير نافعاً إلا بمعرفة الواقع والوعي به وبأحوال الواقع والنوازل وتفاصيلها؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره. وإن إغفال هذا النوع من الفقه وتجاهله يؤدي إلى تخطي في المواقف وانحراف ومخالفات كثيرة.

وفي هديه صلى الله عليه وسلم مواقف كثيرة من هذا، من ذلك: تركه قتل بعض من أظهر نفاقه كراهة أن يقال إنه قتل أصحابه، وتركه إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام لأن قريشاً كانوا في أول إسلامهم؛ فخشى من الفتنة، ونهى صلى الله عليه وسلم عن إقامة الحدود في الغزو وفي البلاد الحربية؟!

الوصية الخامسة: التثبت التثبت

إن مما يسهم اليوم في مجانية الحق والصواب في المواقف: المسارعة في نقل وتداول الأخبار ونقل الأحداث دون توثيق وتثبت منها، والتعامل معها كأنها صدق وحق لا ريب فيه، ومن ثم تتخذ المواقف والأحكام المتسرعة على أساسها، ما ينجم عنه الأحكام والمواقف الجائرة التي قد يندم صاحبها عليها، لكن حين لا ينفع الندم؛ لأنها قد طارت كل مطير. ويشتد خطر هذه المواقف وإنما إذا كانت قد صدرت من متبع في علم أو دعوة أو جهاد.

وتتأكد أهمية التثبت والتوثيق بصورة أكبر في زماننا اليوم، الذي كثرت فيه وسائل النقل والتواصلات الاجتماعية السريعة، وتسارع الناس في نشر أي خبر والحكم عليه دون أدلة تثبت منه؛ حرصاً من الناشر على السبق والشهرة في نقل الأخبار، أو حرصاً على إلحاد الأذى والتهم بخصمه، وفي هذا مخالفة لقوله تعالى: {وَلَا تَفْرُطْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْأُفُوَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُؤْلِمًا} [الإسراء: 36]، قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصَبِّبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين} [الحجرات: 6]، قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [النساء: 94].

فالثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة قبل الحكم عليها، هو دعوة القرآن الكريم ومنهج الإسلام القويم، ومتى استقام القلب واللسان على هذا المنهج لم يبق مجال للظن والشبهة في عالم المواقف والأحكام. فكم من مظلوم في دينه وعرضه أو بدنـه أو مالـه كان سبب ذلك التسرع في نقل الأخبار وتلقـيها دون ثـبت وتمـحيص. وكـم من أواصر قـطـعت بين الأقارب والإخـوان كان سـبـبـها الـظـنـونـ الكـاذـبةـ وتـلـقـيـ الـأـخـبارـ وـالـشـائـعـاتـ دونـ ثـبـتـ.

والثبت المنشود هنا يعني نوعين من التثبت:

- التثبت من صحة الخبر المسموع أو المقرء أو المشاهد، والتوثيق التام من صحته والاطمئنان إلى صدقه؛ لأنه قد يتبيّن بعد التثبت أنه كذب مختلق، أو فيه زيادة ونقصان، وعند ذلك يرفض الخبر ويسلم الإنسان من نقل الأخبار المكذوبة والشائعات، ويسلم من إثم ذلك.
- إذا تبيّن صحة الخبر المنقول فلا يسوغ بناء الأحكام والمواقف منه حتى يقف وقفـةـ أخرىـ منـ التـبـثـ،ـ أـلـاـ وـهـيـ التـبـثـ منـ خـلـفـيـاتـ الـخـبـرـ وـالـمـلـابـسـاتـ الـتـيـ أحـاطـتـ بـهـ،ـ وـالـظـرـوفـ الـتـيـ عـاـشـهـاـ مـنـ نـقـلـ عـنـهـ الـخـبـرـ،ـ وـمـحاـولةـ إـحـسانـ الـظـنـ بـهـ؛ـ لـأـنـ فـيـ ذـلـكـ سـلامـةـ مـنـ الـمـوـاقـفـ وـالـأـحـكـامـ الـجـائـرـةـ الـتـيـ يـحـكـمـ بـهـ عـلـىـ الـخـبـرـ فـيـ حـالـ عـدـمـ مـعـرـفـةـ مـلـابـسـاتـ حـصـولـهـ؛ـ لـأـنـ بـعـرـفـةـ الـمـلـابـسـاتـ وـالـظـرـوفـ الـتـيـ أحـاطـتـ بـالـخـبـرـ وـتـسـبـبـتـ فـيـ حـصـولـهـ،ـ يـحـصـلـ وـضـعـ الـحـكـمـ وـالـمـوـقـفـ مـنـهـ فـيـ حـجـمـهـ الطـبـيـعـيـ دـوـنـ جـوـرـ أـوـ عـدـوـانـ،ـ وـقـدـ يـظـهـرـ فـيـ عـذـرـ وـمـبـرـ شـرـعيـ لـأـصـحـابـهـ.

وهذا النوع من التثبت هو ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في مواقفه من الأخبار، أو في مواقفه من الأخطاء التي تنجم عن بعض أصحابه رضي الله عنهم، فقد تكرر في مواقف كثيرة وقبل أن ينخد الرسول صلى الله عليه وسلم موقفاً من صاحب الخطأ، أن يقول لصاحب الخطأ: «[ما حملك على ما صنعت](#)». وهذا ثبت منه صلى الله عليه وسلم من أسباب ولابسات الواقع في الأخطاء.

وهذا يشمل الأخبار التي تنقل عن الأفراد أو الطوائف. وهذا من العدل والإنصاف الذي أمر الله عز وجل به في أكثر من موطن من كتابه الكريم، قال الله عز وجل: [﴿إِنَّمَا أَنْهَاكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ إِلَّا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَإِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾](#) [المائدة: ٨]، وقال سبحانه: [﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾](#) [الأنعام: ١٥٢]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمَقْسُطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرِ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكُلُّتَا يَدِيهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدَلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَمَا وَلُوا﴾](#) [٧]، ومن دعائه صلى الله عليه وسلم: [«أَسْأَلُكَ كَلْمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضْبِ وَالرَّضَا»](#)، ومن درر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: (والله يحب الكلام بعلم وعدل ويكره الكلام بظلم وجهل) [٨].

الوصية السادسة: الرفق والحلم والأناة والاستخارة والاستشارة

إن من أخطر الأمور على المسلم أيام الحوادث والنوازل، عجلته وتسرّعه فيها، وتركه الرفق والأناة، فكم من الذين تسربوا وتورطوا في الفتنة قد أقرروا بندهم على عجلتهم في أمر كان لهم فيه أناة؟

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: [«الْتَّؤْدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ»](#) [٩]، وقال صلى الله عليه وسلم: [«مَا كَانَ الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»](#) [١٠].

والحلم والتأني عاقبهما محمودة والخطأ فيهما أهون بكثير من الخطأ في التسرع والعجلة. ولا تعني الدعوة إلى الحلم والأناة في الموقف أن لا يكون للمسلم موقف، أو أن تفوت الفرصة النافعة، وإنما المقصود أن يعطي المسلم نفسه وقتاً كافياً يتأمل فيه ويتبثث فيه من الأمور، وألا ينفرد برأيه فيها، بل يستشير فيها أهل العلم والحكمة والدين والتجربة، ويستخير ربه فيما هو قادم عليه؛ لأن سبحانه هو وحده العالم بما لا يحيط به عاقبها؛ ولذلك شرع لنا دعاء الاستخارة، فعن مطرف بن الشخير قال: (من استفتح بباب الرأي من وجهه وأتاه من طريقه، ضمنت له النجاح وتحملت عنه الخطأ. قيل: ما وجهه وأين طريقه؟ قال: يبدأ بالاستخارة ثم الاستشارة، ولا يشاور إلا عارفاً حدبأ عليه) [١١].

فإذا حصل التثبت والاستخارة والاستشارة بأنه الموقف الصحيح، أخذ به العبد بتوفيق الله عز وجل بعد أن استفرغ الجهد في معرفة الحق والصواب. ولو فرض أن الحق لم يتبيّن للعبد بعد ذلك كله، فليس ملزماً باتخاذ موقف، وإنما المتعين عليه في هذه الحال التوقف واعتزال الأمور وعدم الحكم عليها حتى تنجي وينشرح الصدر للموقف الحق، ولن يضر المسلم اعتزاله هذا ولن يؤاخذه سبحانه عن موقفه هذا، ما دام أن قصده الحق وابتغاء مرضات الله عز وجل واتقاء سخطه.

ومما يدخل في العجلة أمام النوازل والفتنة، التسرع في تطبيق بعض أحاديث الفتنة في آخر الزمان على واقعة بعينها أو شخص بعينه، وبناء على ذلك تتخذ المواقف، ويحصل من ذلك فتن وبلايا، والسلف علمونا أن أحاديث الفتنة لا تنزل على واقع حاضر، وإنما يظهر صدق النبي صلى الله عليه وسلم بما أخبر به من حدوث الفتنة بعد وقوعها وانقضائها بعد ظهور أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم لها وما آلت إليه.

ومن العجلة المذمومة التسرع في التكفير لمعين من المسلمين لأدنى شبهة لم تستكم شروط التكفير وانتفاء موانعه.

الوصية السابعة: ترك الانشغال بحوادث لم تقع والبحث عن الموقف منها

ومن ذلك كراهيـة السـلف التـعجل في إـفتاء النـاس في قـضايا لم تـقع بـعد؛ ذـلك لأنـ الـوقـانـ والأـحـادـاث تـخـتـلـف في وـصـفـها وـتـصـورـها قـبـلـ الـوقـوعـ عنـها بـعـدـ الـوقـوعـ؛ وـذـلك لـما يـظـهـرـ فـيـها بـعـدـ وـقـوعـها منـ الـمـلـابـسـاتـ وـالـأـحـوالـ ماـ لـمـ يـكـنـ مـعـرـوفـاـ قـبـلـ الـوقـوعـ. وـظـهـورـ هـذـهـ الـمـلـابـسـاتـ لـلـمـفـتـيـ يـعـيـنهـ عـلـىـ تـصـورـ الـوـاقـعـةـ مـنـ جـمـيعـ جـوـانـبـهاـ، وـمـنـ ثـمـ الـوـصـولـ إـلـىـ الصـوـابـ فيـ الـحـكـمـ عـلـيـهـاـ وـمـوـقـفـهاـ.

عنـ عـامـرـ الشـعـبـيـ قـالـ: سـئـلـ عـامـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ عـنـ مـسـأـلـةـ فـقـالـ: كـانـ هـذـاـ بـعـدـ. قـالـواـ: لـاـ. قـالـ: دـعـونـاـ حـتـىـ يـكـونـ. إـنـاـ كـانـ تـجـشـمـنـاـ لـكـ[12].

وـعـنـ مـعـاذـ بـنـ جـبـلـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ يـرـفـعـهـ إـلـىـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: «لـاـ تـعـجـلـواـ بـالـبـلـيـةـ قـبـلـ نـزـولـهـاـ، فـإـنـكـمـ إـنـ لـمـ تـفـعـلـواـ لـمـ يـنـفـكـ الـمـسـلـمـوـنـ أـنـ يـكـونـ مـنـهـمـ مـنـ إـذـاـ قـالـ وـفـقـ أـوـ قـالـ سـدـدـ. وـإـنـكـمـ إـذـاـ اـسـتـعـجـلـتـمـ بـالـبـلـيـةـ قـبـلـ نـزـولـهـاـ ذـهـبـتـ بـكـمـ السـبـلـ هـاـ هـنـاـ وـهـاـ هـنـاـ»[13].

وـمـنـ مـخـاطـرـ ذـلـكـ مـاـ يـنـجـمـ عـنـ بـعـضـ الـمـتـحـمـسـيـنـ لـلـدـعـوـةـ وـالـجـهـادـ مـنـ اـفـتـرـاضـ أـمـوـرـ وـوـقـائـعـ لـمـ تـقـعـ بـعـدـ، ثـمـ بـخـتـلـفـونـ فـيـهاـ وـفـيـ المـوـقـفـ مـنـهـاـ لـوـ وـقـعـتـ، وـقـدـ يـنـتـهـيـ الـحـالـ بـالـمـخـتـلـفـيـنـ فـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ الـذـيـ لـمـ يـقـعـ إـلـىـ الـافـرـاقـ وـالـهـجـرـ، بـلـ التـبـيـعـ وـالـتـكـفـيرـ، وـهـذـاـ مـنـ عـمـلـ الشـيـطـانـ وـنـقـصـانـ الـعـقـلـ.

الوصية الثامنة: لزوم الجماعة وتآلف القلوب ونبذ الفرقـة

وـالـمـقـصـودـ بـالـجـمـاعـةـ: جـمـاعـةـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـأـتـبـاعـ، قـالـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ: {وـأـعـتـصـمـوـ بـحـبـلـ اللـهـ جـمـيـعـاـ وـلـاـ تـفـرـقـوـاـ} [آل عمران: 103]، وـعـنـ النـعـمـانـ بـنـ بشـيرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قـالـ: قـالـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: «الـجـمـاعـةـ رـحـمـةـ وـالـفـرـقـةـ عـذـابـ»[14].

فـالـجـمـاعـةـ أـصـلـ، وـلـاـ يـجـوزـ بـحـالـ أـنـ يـضـيـعـ الـأـصـلـ لـلـمـحـافـظـةـ عـلـىـ الـفـرعـ، كـمـاـ هـوـ الـحـالـ الـيـوـمـ عـنـدـ كـثـيرـ مـنـ الـمـخـتـلـفـيـنـ، حـيـثـ تـجـدهـمـ يـخـتـلـفـونـ فـيـ فـرعـ أـوـ جـزـئـيـةـ، فـيـتـسـبـبـ هـذـاـ فـيـ اـفـرـاقـهـمـ وـتـخـاصـصـهـمـ، وـهـذـاـ مـنـ الـجـهـلـ، وـقـدـ يـكـونـ مـنـ الـهـوـيـ، وـلـمـ يـكـنـ هـذـاـ هـوـ هـدـيـ أـصـحـابـ الـنـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ؛ فـقـدـ كـانـوـاـ يـحـرـصـوـنـ عـلـىـ الـجـمـاعـةـ، وـمـنـ أـجـلـهـاـ كـانـوـاـ يـتـرـكـونـ بـعـضـ الـسـنـنـ، فـهـذـاـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـسـعـودـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ لـمـ أـتـمـ عـثـمـانـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ الـصـلـاـةـ بـالـنـاسـ فـيـ مـنـيـ أـتـمـ مـعـهـ الـصـلـاـةـ مـعـ رـأـيـهـ أـنـ ذـلـكـ خـلـافـ الـسـنـةـ، وـلـمـ قـيلـ لـعـبـدـ اللـهـ بـنـ مـسـعـودـ: عـبـتـ عـلـىـ عـثـمـانـ ثـمـ صـلـاـتـ أـرـبـعـاـ. قـالـ: الـخـلـافـ شـرـ[15]ـ، وـفـيـ ذـلـكـ يـقـولـ اـبـنـ مـسـعـودـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ: (وـإـنـ مـاـ تـكـرـهـوـنـ فـيـ الـجـمـاعـةـ خـيـرـ مـاـ تـحـبـوـنـ فـيـ الـفـرـقـةـ)[16].

وـيـقـولـ شـيـخـ الـإـسـلـامـ رـحـمـهـ اللـهـ: (وـلـكـ الـاجـتـهـادـ السـائـعـ لـاـ يـبـلـغـ مـبـلـغـ الـفـتـنـةـ وـالـفـرـقـةـ إـلـاـ مـعـ الـبـغـيـ لـاـ لـمـجـرـدـ الـاجـتـهـادـ)[17]ـ، وـيـقـولـ أـيـضـاـ: (قـدـ كـانـ الـعـلـمـاءـ مـنـ الـصـاحـبـةـ وـالـتـابـعـيـنـ وـمـنـ بـعـدـهـمـ إـذـاـ تـنـازـعـوـاـ فـيـ الـأـمـرـ اـتـبـعـوـاـ أـمـرـ اللـهـ تـعـالـيـ فـيـ قـوـلـهـ: {فـإـنـ تـنـازـعـتـمـ فـيـ شـيـءـ فـرـدـوـهـ إـلـىـ اللـهـ وـرـسـوـلـ إـنـ كـنـتـمـ تـؤـمـنـوـنـ بـالـلـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ ذـلـكـ خـيـرـ وـأـحـسـنـ تـأـوـيـلـ} [الـنـسـاءـ: 59]ـ، وـكـانـوـاـ يـتـنـاظـرـوـنـ فـيـ الـمـسـأـلـةـ الـعـلـمـيـةـ وـالـعـمـلـيـةـ مـعـ بـقـاءـ الـأـلـفـةـ وـأـخـوـةـ الـدـيـنـ)[18]ـ، وـقـالـ الشـافـعـيـ رـحـمـهـ اللـهـ لـيـونـسـ الصـدـفيـ: (يـاـ أـبـاـ مـوـسـىـ! أـلـاـ يـسـتـقـيمـ أـنـ نـكـونـ إـخـوـانـاـ وـإـنـ لـمـ نـتـفـقـ فـيـ مـسـأـلـةـ؟ـ).

وـالـمـقـصـودـ العـنـيـةـ بـهـذـاـ الـأـصـلـ الـعـظـيمـ (أـصـلـ الـجـمـاعـةـ وـالـأـنـتـلـافـ)، وـذـلـكـ فـيـ اـتـخـاذـ الـمـوـافـقـ مـنـ الـأـحـادـاثـ، وـأـنـهـ إـذـاـ تـعـارـضـ مـعـ فـرعـ تـرـكـ الـفـرعـ لـلـحـفـاظـ عـلـىـ الـجـمـاعـةـ وـتـغـلـيـبـ مـصـلـحةـ الـأـمـةـ عـلـىـ الـمـصـالـحـ الـخـاصـةـ، وـالـحـذـرـ مـنـ الـفـرـقـةـ وـالـاـخـتـلـافـ؛ فـهـوـ مـنـ عـلـمـ الشـيـطـانـ، فـالـفـرـقـةـ لـاـ تـقـفـ عـنـدـ حدـ، بـلـ تـبـدـأـ بـاـخـتـلـافـ الـقـلـوبـ وـتـلـوـثـهـاـ بـالـحـقـدـ وـالـحـسـدـ وـالـظـنـونـ الـسـيـئـةـ، ثـمـ تـمـرـ عـلـىـ الـلـسـانـ فـيـتـكـلـمـ بـظـلـمـ وـهـوـيـ وـجـهـلـ بـلـاـ عـلـمـ وـلـاـ تـثـبـتـ وـلـاـ عـدـلـ، وـقـدـ تـنـتـهـيـ وـالـعـيـادـ بـالـلـهـ إـلـىـ فـتـنـةـ الـتـكـفـيرـ وـالـسـيـفـ وـالـقـتـالـ.

والمنتبع لحوادث التاريخ الماضي والمعاصر يلمس هذا بكل وضوح، والسعيد لمن جنب الفتن.

وإن مما يعين على جمع القلوب وتالفها إحياء صفة التراحم والتغافر بين المسلمين والعمل بقوله تعالى: **{أَذْلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ}** [المائدة: 54]، قوله تعالى: **{أَشَدُّ أَعْصَمَ الْكُفَّارِ رُحْمَاءً بَيْنَهُمْ}** [الفتح: 29]، فعلينا أن ننمّي ونشر الرحمة بيننا مهما حصل من الخلاف، علينا بناء على ذلك أن نضفي شعور الولاء والمودة والإخاء وحسن الظن.

الوصية التاسعة: تقوى الله عز وجل والعمل الصالح والإكثار من العبادات

كلما كان العبد متقياً لله عز وجل، قائماً بالأوامر، تاركاً للنواهي؛ كلما كان أسعده بال موقف الحق عند النوازل، قال الله عز وجل: **{إِنَّمَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا}** [الأنفال: 29]، ويقول سبحانه: **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا}** [الطلاق: 2]، ويقول تعالى: **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}** [الطلاق: 4]، وقال سبحانه عن نبيه يونس عليه السلام: **{قُلُّوا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۖ لَلَّبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ}** [الصافات: 143-144].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»[19].. والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، حيث يتضح لنا منها أثر العبادة وتقوى الله عز وجل والعمل الصالح في معرفة الحق وكونها سبباً في توفيق الله عز وجل للعبد وتسديده، كما في قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَدِنَّهُمْ سُبُّلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}** [العنكبوت: 69]، وقوله تعالى في الحديث القدس: «وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سئلني لأعطيه، ولئن استعاذه لأعيذه»[20].

وما أجمل كلام الإمام ابن القيم رحمة الله حيث يقول: (العبد متقلب بين أحكام الأوامر وأحكام النوازل، فهو يحتاج إلى العون عند الأوامر، وإلى اللطف عن النوازل، وعلى قدر قيامه بالأوامر يحصل له من اللطف عند النوازل، فإن كمل القيام بالأوامر ظاهراً وباطناً ناله اللطف ظاهراً وباطناً، وإن قام بصورها دون حقائقها وبواطنها ناله اللطف في الظاهر وقلّ نصيبه من اللطف في الباطن. فإن قلت: وما اللطف الباطن؟ قيل: هو ما يحصل للقلب عند النوازل من السكينة والطمأنينة وزوال القلق والاضطراب والحزع)[21].

ومن الأفعال الفاضلة التي يوفق الله العبد بها للحق: كثرة الاستغفار والتوبية إلى الله عز وجل والإنابة إليه، وكثرة ذكر الله تعالى، يقول ابن القيم رحمة الله: (وشهدت شيخ الإسلام قدس الله روحه إذا أعيته المسائل واستعصت عليه فر منها إلى التوبية والاستغفار والاستغاثة بالله عز وجل واللجوء إليه واستنزل الصواب من عنده والاستفصال من خزائن رحمته، فقلما بلث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مداً)[22].

الوصية العاشرة: الحذر من إرجاف المنافقين وتخليهم

أيام النوازل والفتنه يشرئب النفاق وأهله ويظهرن بقرونهم: **{شَيَاطِينَ إِنْسٍ وَجِنٍ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}** [الأنعام: 112]، ويسعون جاهدين لإثارة الوساوس والشبهات والشهوات في مجتمعات المسلمين، مما قد يخدع بمكرهم فئام من الناس؛ ولذا وجب على الدعاة وأهل العلم التصدي لهؤلاء المنافقين، ورد شبهاتهم، وفضحهم، وتحذير الأمة مما يقومون به عند النوازل من إثارة الخوف والإرجاف والتخييل والإحباط وبث اليأس في قلوب المسلمين. وهذا من جهادهم الذي أمر الله عز وجل به رسوله، وأمته تتبع له في ذلك: **{إِنَّمَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهَدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}** [التحريم: 9].

- [1] مسلم .770
- [2] الروح .234
- [3] النساء 1304 ، وصححه الألباني.
- [4] إعلام الموقعين 1/86
- [5] التنكيل 180-2/180
- [6] شرح العقيدة الطحاوية 1/590
- [7] أخرجه مسلم .82
- [8] مجموع الفتاوى 16/96
- [9] أبو داود 4810 ، وصححه الألباني في السلسلة 1794 .
- [10] مسلم .2594
- [11] الفقيه والمنتفق 2/393
- [12] المطالب العالية 3/106
- [13] المرجع السابق.
- [14] أخرجه أحمد 4/272 ، وصححه الألباني في السلسلة 667 .
- [15] أبو داود (1960)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود 726 .
- [16] السنة للذكائي 1/121
- [17] الاستقامة 1/31
- [18] الفتاوى 2/172
- [19] الترمذى 2518
- [20] البخاري 6502
- [21] الفوائد 1/202
- [22] إعلام الموقعين 4/178